

تأليف

عادل شــــــلاّر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولي الحميد ، الذي تولى المساكين فجمّلهم بألطاف ستره ، وحماهم من الدنيا كما يحمى المريض من الطعام ، وأنزل عليهم من الأرزاق ما يقيم أودهم ، وألبسهم ثوب الحياء منه فصمدوا إليه ولم يسألوا لحل فاقتهم غيره ، فرزق الله الناس ونصرهم بدعوات المساكين فكانوا وجهاء الناس عند الله ، قدَّمهم على الناس في الدنيا ، وفي الآخرة أدخلهم في رضاه قبل الناس ، وقرَّبهم إليه وقرّب بهم محبيهم والمحسنين إليهم ، وأهلك بسببهم كل متكبر لا يحض على طعام المسكين وكان يهضم حقوق الفقراء ليجمع الأموال .

وصلى الله على سيد المساكين في الأولين

والآخرين صلاة تقطع طمع كل فقير في الدنيا وتضطره إلى باب أكرم الأكرمين ، وتشرِّف أهل الدنيا بالبحث عن المساكين والتقرب إلى الله بحبهم والإحسان إليهم ، وبعد : فهذه رسالة متحفة للمساكين ، يتعرف بها الفقير على المسكنة الحقيقية ، فيستقيم في الصبر على فاقته ويسأل الله من فضله ويتعفف عن مسألة الناس ، ويتعرف فيها الغني للهلاك الذي يتناوله في الدنيا وفي الآخرة بترك الإحسان إلى المساكين .

سيد المساكين وقدوتهم :

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عاش عيشة المسكين ، كان قبل النبوة يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط ، ثم تاجر بمال زوجته خديجة ، فكان صلى الله عليه وسلم ينفق ماله

على الفقراء والمساكين ويُكسِب المعدوم ويساعد الضعيف فيحمل عنه ، ويرد الظلم عن المظلومين ما استطاع ، وبعد الهجرة كان رزقه من الجهاد في سبيل الله ، فله الخمس من الغنائم ، وكان صلى الله عليه وسلم ينفق نصيبه من الخمس على المساكين ويصل به الأرحام حتى عاش حياته كلها لم يشبع هو ولا أهله من خبز شعير قط ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يوقد في بيته على طعام إلا كل شهر أو شهرين ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يرد سائلاً فكان يعطيه حتى طعام أهله ، وقد كان يمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا يذوق خلالها طعاماً .

دعاؤه صلى الله عليه وسلم أن يكون من المساكين :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة)) فقالت عائشة لِمَ يا رسول الله ؟! قال صلى الله عليه وسلم : ((إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقرِّبُك يوم القيامة)) .رواه الترمذي

فالمساكين يدخلون الجنة قبل غيرهم من الأغنياء بأربعين سنة ، أما الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام .

صور من زهد النبي صلى الله عليه وسلم:

– عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع

آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) متفق عليه .

- عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار) قلت: يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : (الأسودان التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا) متفق عليه .

-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا

بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال : ((ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟)) قالا : الجوع يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم :((وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما)) فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أين فلان ؟)) قالت ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إياك والحلوب)) فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق

وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: ((والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)) رواه مسلم .

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير) متفق عليه .

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها ناولت رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام)) رواه الإمام أحمد .

تشريف المساكين

١- بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم والتقرب إلى الله بحبهم :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم أن الله تعالى قد كتب في قضائه المبرم أن يكون له مساكين ، ورأى أن الله عز وجل شرَّف المساكين ورفعهم على الأغنياء ، فاختار رسول الله صلى الله علية وسلم عيشة المسكين المتعفف فكان أكثر العباد جوعاً وتقشفاً وتعففاً وصبراً ، وأكثر العباد طراً سخاءً وجوداً وكرماً وبراً .

روى الترمذي قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة))

٢- بكون النبي صلى الله عليه وسلم مولاهم في الدنيا والآخرة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى المساكين يسعى في حاجاتهم ويرزقهم من مال الله الذي عنده ، وإذا مات واحد من المساكين كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفل بعائلته ويوفي عنه ديونه ، وكان المساكين يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وكذلك يقصدونه بعد موته ، فالمساكين الآن يزورونه ويقصدونه وهو في عالم البرزخ فيلتمسون سعة الرزق بكثرة الصلاة والتسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، ويرجون صلاح الأغنياء باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمسيئين من أمته ، لأن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأمته سبب

في رفع البلاء عن المسلمين .

- روى البزار بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أمتي السلام)) ثم قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : ((حياتي خير لكم ، تحْدِثون ويحْدَثُ لكم ووفاتي خير لكم ، تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم)) .

- وروى ابن منده بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من صلى عليّ كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته وثلاثين لدنياه)) .

وكذلك فإن المساكين يقصدون النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيشفع لهم عند الله ، فيقوم الله عز وجل بالصلح بين المساكين الذين ماتوا وعليهم ديون وبين المؤمنين الذين لهم حقوق على المساكين ، وذلك كرامة من الله تعالى وتشريفاً لقدر النبي الشفيع سيد المساكين في الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم .

– روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، إقرأوا إن شئتم [النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم] فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك دَيْناً أو ضَيَاعاً فليأتني فأنا مولاه))

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو مولى المؤمنين في الدنيا والآخرة يسعى في مصالحهم الدنيوية والأخروية ، فصلى الله عليه وسلم وهنيئاً للمؤمنين المساكين على هذا الشرف العظيم .

من هو المسكين ؟ :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ليس المسكين بالطواف الذي يطوف على الناس ، ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان)) قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : ((الذي ما عنده ما يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس)) رواه الإمام مالك .

– وروى النسائي عن أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ، إن المسكين المتعففُ ، إقرأوا إن شئتم [لا يسألون الناس إلحافاً]))

هذا الحديث يعرفك على المسكين ، فإن الذي يطوف على الناس ويسألهم أن يطعموه ويكسوه ليس هو المسكين الذي شرفه الله ورفعه ، إنما هو السائل الفقير الذي لا يجوز رده ولا تعنيفه ، بل يعطى ويكرم ، قال الله تعالى : ((وأما السائل فلا تنهر)) وإنما كان الناس يعدون السائل مسكيناً جبراً لخاطره حتى لا يتأذى ويشعر بانتهار الناس له .

أما المسكين الحقيقي : فهو الذي له مِلك يكتسب به ولا يقع له موقع الكفاية لحاجاته الأساسية من مأكل أو ملبس أو سكن ، مثل أصحاب السفينة التي خرقها الخضر عليه السلام وقال الله تعالى على لسانه : ((وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)) فهؤلاء المساكين تعاونوا فيما بينهم ، واشتروا سفينة صغيرة يصيدون فيها لحسابهم ، وقد كانوا قبل ذلك يعملون لحساب الملك الذي يسرق تعب العمال في البحر فيستغني به ويترك العمال في الفقر والقلة ، وهؤلاء المساكين لما اشتروا السفينة تحسن حالهم عن ذي قبل ، ومع ذلك كان موردهم لا يكاد يكفي حاجتهم لأن عمال الملك راحوا يضايقونهم ويمنعونهم من أخذ راحتهم في الصيد ، وتوعدوهم بإحراق السفينة،

فقام الخضر فخرق لهم في السفينة خرقاً واضحاً، فلما مرّ أعوان الملك على السفينة قالوا : ستغرق بهم فلا داعي لأخذها فتركوها وزهدوا فيها ، وكان المساكين يعملون عليها وهي مخرقة ، وما كانت تغرق بهم لأنها تسير بألطاف الله .

أنواع المساكين :

١- الذي له كسب وليس له مِلك وهذا هو الفقير ، كالعامل الذي يعيش في بيت مستأجراً وكسبه من عمله لا يكفي مؤونة أهله في الحاجات الأساسية حسب عرف فقراء البلد الذي يعيش فيه .

٢- الذي له مِلك يكتسب به ولا يقع له كسبه موقع الكفاية لحاجاته الأساسية .

٣- الذي لا يقدر على الكسب لمرض أو عجز في جسمه أو سفه في عقله ، إن كان له مِلك يستثمر وجب تثمير ماله ورزقه من ثمراته ، وإن لم يكن له ملك وجب على الأغنياء كفايته مدى عمره ، وأفضل طريقة أن يجعلوا له ملكاً يؤجره ويأكل من أجرته أ أو يجعلوا له مالاً ، ثم يقوم مسكين آخر بتثمير المال والإنفاق منه على المسكين الضعيف وعلى نفسه وعياله .

٤- الأبله وهو المؤمن الغافل الذي لا يفطن للشر فهو طيب القلب يحسن الظن بجميع الناس الذين يرققون له الكلام ، ومثل هذا المسكين كثيراً ما يقع في الفقر لأن الناس يستغلون طيبة

قلبه ، ويستفيدون من خدماته دون أن يعطوه حقوقه كاملة ، والناس من عادتهم أن يعطوا الدراويش أجوراً قليلة ، لذلك يجب الإحسان إليهم وعدم هضم حقوقهم .

٥- الذي لا يحسن إلا بعض الحرف التي لا تدر عليه من الكسب ما يكفيه ، إما لكساد تلك الحرف ، أو لضعف جسمه وعقله عن القيام الحرف الأخرى .

وإذا كانت حرفته التي يتقنها نشيطة في بلد آخر فخير له أن يسافر فيجد التوسعة ، إلا إن سبب له السفر ضرراً بأهله فلا يسافر إذن ، وعليه عند ذلك أن يستغفر ويصبر على فقره حتى يفرج الله عنه ، ويجب على الأغنياء البحث عن المساكين وكفايتهم .

٦- جامع القرآن وطالب العلم الشرعي المتفرغ لطلب العلم إن لم يجد عملاً يكفيه في مجال اختصاصه ، لأنه لا يطلب منه الاحتراف بما يبعده عن العلم والمداومة على الأوراد لأن جامع القرآن عليه تعهد الحفظ ويحرم عليه التسبب في نسيان الآيات التي حفظها لذلك يجب كفايته وتأمين حرفة تناسب وضعه وتكفي مؤونته

أحكام المسألة :

- التحريم :

وذلك عندما يسأل السائل عن ظهر غنى أي : عندما يكون عنده ما يغنيه من أكل ولبس ،

فيذهب ويسأل الناس ليستكثر من تراب الدنيا وحطامها ، فهذا العمل من المحرمات والسائل في هذه الحالة يؤتى به يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم من كثرة المسألة .

- روى الطبراني بسند حسن عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((من سأل وهو غني عن المسألة يحشر يوم القيامة وهي خموش في وجهه))
- وروى النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم)) .
- الكراهة : يكره للمسلم أن يسأل الناس وعنده من المال أو المتاع ما قيمته أربعون درهماً

وهي في عصرنا حوالي خمسة غرامات ذهب أي حوالي خمسة آلاف ليرة .

روى النسائي وأبو داود عن رجل من بني أسد أنه قال : نزلت أنا وأهلي ببقيع الغَرْقَدِ ، فقال لي أهلي: اذهبْ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فسلهُ لنا شيئاً نأكله، فجعلوا يذكرون من حاجتهم ، فذهبتُ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فوجدت عنده رجلاً يسأله ورسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : ((لا أجد ما أعطيك)) فتولى الرجل عنه وهو مغضبٌ وهو يقول : لعمري إنك لتعطي من شئت ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ((يغضب عليَّ أن لا أجد ما أعطيه، من سأل منكم وله أوقيَّةٌ أو عدلها، فقد سأل إلحافاً)) قال

الأسدي: فقلت : للقحةٌ لنا خيرٌ من أوقية، والأوقية أربعون درهماً قال: فرجعت ولم أسأله، فقدم على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعد ذلك شعير وزبيب فقسم لنا منه ، أو كما قال حتى أغنانا اللّه عز وجل.

– خلاف الأولى : عندما يكون السائل بحاجة ولكنه يستطيع الصبر على فاقته فيكون التعفف والصبر أولى له وأفضل .

– روى الإمام مالك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده ، ثم قال : ((ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن

يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر))

- روى مسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال : ((يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى)) قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل

منه شيئا فقال عمر إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي .

– الإباحة :

تباح المسألة في ثلاث حالات بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام أحمد بسند حسن عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الحاجة ، فقال النبي صلى

الله عليه وسلم : ((ما عندك شيء ؟)) فأتاه بحلس وقدح فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من يشتري هذا ؟)) فقال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : ((من يزيد على درهم؟)) فسكت القوم ، فقال : ((من يزيد ؟)) فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فقال : ((هما لك)) ثم قال : ((إن المسألة لا تحل إلا لإحدى ثلاث : دم موجع أو غرم مفظع أو فقر مدقع))

فعندما يصيب الإنسان دماً خطأ ولا تهدأ ثائرة أولياء الدم حتى يؤدي القاتل الدية وكان هذا الدم موجعاً للقاتل بترصد أولياء المقتول به الدوائر وكذلك كان موجعاً لأولياء المقتول ودافعاً لهم لإنشاب سهام الفتنة بين الناس جاز لغير

القادر على الدية المسألة بما يدفع عنه تلك الموجعات ، وكذلك الذي أصابه المرض أو أصاب أهله وليس لديه ما يدفع عنهم باتخاذ العلاج فيجوز له المسألة ولكن الأولى أن يستشفي بالقرآن ويصبر على قدر الله فإن لم يكن بهذه المرتبة من التقوى فلا حرج عليه إذا طلب من الكرام مؤنة العلاج وكذلك تحل المسالة لصاحب الديون الكبيرة التي ترتبت عليه بحيث طلب حقه من الزكاة ولم يكف ما تحصل له من الزكاة فيجوز له طلب التصدق عليه وذلك بأن يتعرض لشريف القوم وسيدهم المطاع فيزكيه عند القوم ، وكذلك يجوز المسألة لمن أصابه الفقر المدقع بحيث صار بلا مأوى ولا طعام ولا كساء فيجوز له التعرض لكرم ذوي

المروءة والكرم ليكفوه ما يخرجه من البأساء والضراء .

- بين السائل والمعطي :

إذا كان الله عز وجل أمر المسلم بأن لا يسأل أحداً سواه ، ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مسلم التعفف والصبر على أقدار الله ، وإذا كان السائلون من الناس مختلفون فمنهم صاحب الحاجة ومنهم من يستكثر من المال الذي هو أوساخ الناس ، فهذا لا يعني أن يرد الغني السائل فلا يعطيه ولا يستبين حاله ليكفيه عن كان فقيراً ، بل يحرم زبر السائل وانتهاره ، ويجب إعطاؤه مما تيسر ، فإن لم يكن معه شيء يقول له قولاً معروفاً ويرده رداً لطيفاً ويعده ويأمله بالخير .

– روى الترمذي النسائي أبو داود عن أُمِّ بُجَيدٍ رضي الله عنها وكَانَتْ مِمَّنْ بَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ لرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ المسكينَ ليَقُومُ عَلَى بَابِي فَمَا أَجِدُ لَهُ شيئاً أُعطيهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَ لها رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنْ لَمْ تَجِدِي لَهُ شيئاً تُعطِيهِ إِيَّاهُ إِلاَّ ظِلْفاً مُحرَقاً فادْفعِيهِ إِليهِ في يَدِهِ)) .

– وروى أبو داود وأحمد عن حسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ((للسائل حقٌّ وإن جاء على فرسٍ)) .

– وقال الله تعالى: ((وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) الذاريات آ ١٩

- قال الله تعالى : ((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))البقرة ١٧٧

- قال الله تعالى:((وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)) الضحى آ ١٠

- نصيحة السائل إذا كان جلداً قادراً على الكسب :

روى الطبراني بسند صحيح عن عبيد الله بن عدي أن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يسألانه من الصدقة فرفع لهما بصره وخفضه فرآهما رجلين جلدين فقال : ((إن شئتما أعنتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب)) .

من خصائص المساكين :

– تحسر أهل النار على تفوت حق المساكين:

قال الله تعالى في سورة المدثر: ((كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ

فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ *))

آ٣٨-٤٧

– تقليل الرزق بسبب تضيع حق المساكين :

قال الله تعالى في سورة الفجر : ((فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا *))

آ١٤-٢٠

– دخول المساكين الجنة قبل الأغنياء .

روى الترمذي قول النبي صلى الله عليه وسلم

لعائشة : ((إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن اللّه يقربك يوم القيامة)).

– المسكين صمام أمان للخلق :

– بالإحسان إلى المسكين يرتقي الغني على مراتب المجاهدين في سبيل الله والعباد الزاهدين بالدنيا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار)) رواه البخاري

– بالإحسان إلى المسكين يفوز الغني بالقلب

الحي اللين ويذهب عن قلبه القسوة والحرمان فإن أبعد الناس من الله القلب القاسي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له : ((امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين)) رواه أحمد بسند صحيح.

- الإحسان إلى المسكين سبب لقبول رب العالمين أعمال الميسورين :

عن ابن عباس رضي الله عنهما ،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً

على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكري ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس أكلأه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة)) رواه البزار بسند حسن

– رفع الهلاك بالاحسان للمساكين :

قال الله تعالى : ((إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ

صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ *أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم)) سورة ن آ ١٧-٣٤

أصحاب الجنة : هم أصحاب بستان في اليمن وكانت جنتهم كثيرة الخيرات لأن صاحبها كان إذا جنى الموسم أول ما يعمل هو الإنفاق على

المساكين ، فلما مات الرجل وورثه أبناؤه خافوا أن يذهب المساكين بأرزاقهم ، فاتفقوا فيما بينهم أن يجمعوا ثمراتهم خفية عن المساكين حتى لا يجتمعوا عليهم ويأخذوا من المال ، فانطلقوا إلى البستان ليجمعوا ثمرها فوجدوها قد هلكت فتابوا إلى الله وصاروا ينفقون على المساكين فكانت جنتهم تؤتي ثمارها أكثر من مرة في العام .

– تطهير المسلمين بهم من الخطايا والذنوب :

قال الله تعالى في سورة التوبة : ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ

الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))
آ١٠٣-١٠٤

- وشرع الله عز وجل الكفارات لتطهير المسلمين من الخطايا وجعل المساكين محلاً لصحة الكفارات فإطعام المساكين أو كسوتهم لازم لصحة كفارة اليمين وكفارة الإفطار في رمضان وكفارة الإخلال ببعض واجبات الحج وكفرة الظهار و القتل .

- الإحسان للمسكين خير للمسلم فقط :
إن غير المسلم مهما أنفق على المساكين لن ينفعه إنفاقه هذا يوم الدين ، لذلك فهو يحصِّل فوائد إنفاقه على المساكين في الدنيا فقط ، بأن تكثر أمواله ويصبح صاحب جاه ويكثر الناس من مدحه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت ؛ قلت: يا رسول الله ! ابن جدعان ،كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : ((لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)) رواه مسلم

- قال الله تعالى : ((يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا *)) فرقان آ٢٢-٢٣

- روى الطبراني بسند حسن عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع قال : يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء

اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المسكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام (أي: وسط) من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إلي فجعله في ضحضاح (أي: اليسير) من النار))

– تولي ذي العزة والجلال المخاصمة عن المسكين يوم الدين :

لأن المساكين لا يستطيعون الدفاع عن حقوقهم المهدورة بسبب الضعف المركب فيهم عن مقارعة أهل الباطل فإن الله تعالى يتولى الدفاع عنهم

والمخاصمة للطاغين الذي أكلوا حقوق هؤلاء المساكين .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قال الله : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره))

فالمغدور به كان من المساكين الذي خدع بمن بذل له عهد الله كاذباً ، والحر الذي بيع كان مسكيناً ضعيفاً عن الدفاع والمخاصمة دون حقه وكذلك الأجير فهو مسكين ولا يستطيع تحصيل كامل حقه والمخاصة دونه .، لذلك فإن الله عز

وجل هو الذي يخاصم عنهم ويدافع عن حقوقهم المهدورة .

*** قصة الخضر مع المسكين :**

روى الطبراني بسند لا بأس به عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ((ألا أحدثكم عن الخضر عليه السلام)) قالوا : بلى يا رسول الله قال : ((بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال : تصدق علي بارك الله فيك ، فقال الخضر عليه السلام : آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ، ما عندي شيء أعطيكه ، فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت علي فإني نظرت السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك ، فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي

شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعني ، فقال المسكين : وهل يستقيم هذا ؟ قال: نعم أقول لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك بوجه ربي ، بعني قال : فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له : إنك إنما اشتريتني التماس خير عندي فأوصني بعمل قال : أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف قال : ليس تشق علي قال : قم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج في بعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة قال : أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال : ثم عرض للرجل سفر فقال : إني أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة قال : وأوصني بعمل قال : إني أكره أن

أشق عليك قال : ليس يشق علي قال : فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك قال : فمر الرجل لسفره قال : فرجع الرجل وقد شيد بناؤه قال : أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك ؟ قال : سألتني بوجه الله ووجه الله أوقعني في العبودية فقال الخضر: سأخبرك من أنا ، أنا الخضر الذي سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي شيء أعطيه فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر، وقف يوم القيامة جلدة لا لحم ولا عظم يتقعقع فقال الرجل : آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم ، قال: لا بأس أحسنت واتقيت فقال الرجل : بأبي أنت وأمي

يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلي سبيلك ؟ قال : أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي فخلى سبيله فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها.

- **قصة تزويج النبي لجليبيب وربيعة رضي الله عنهما :**

تزويج المساكين هي من أصعب الخدمات الاجتماعية التي يقدمها طالب الثواب للمساكين وهي من أجلّ الخدمات وأفضهلها وخصوصاً إذا كان فاعل الخير غير موسر بالقدر الذي يتحمل مثل هذه الخدمات ، ولقد كان رسول الله صلى يقوم بما ينفع المساكين ومنها السعي في تزويجهم وتحمل ذلك الأمر الصعب الجليل ، وفيما يلي اورد قصة تزويج النبي صلى

الله عليه وسلم لربيعة الأسلمي ولجليبيب رضي الله عنهما وهما من المساكين .

- وعن ربيعة رضي الله عنه قال: ((كنت أخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - نهاري فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبت عنده فلا أزال أسمعه يقول: ((سبحان الله سبحان الله سبحان ربي)) حتى أمل أو تغلبني عيني فأنام فقال يوما : ((يا ربيعة سلني فأعطيك)) فقلت : أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة فقلت: يا رسول الله أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار ويدخلني الجنة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((من أمرك بهذا؟))

قال: قلت : ما أمرني به أحد ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه فأحببت أن تدعو الله قال: ((إني فاعل فأعني بكثرة السجود)) رواه الطبراني بسند حسن

- وعن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم

فقال لي : ((يا ربيعة ألا تزوج ؟)) . قلت : لا والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج وما عندي ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلني عنك شيء فأعرض النبي صلى الله عليه وسلم عني فخدمته ما خدمته، ثم قال لي الثانية : ((يا ربيعة ألا تزوج ؟)) . فقلت : ما أريد أن أتزوج ما عندي ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلني عنك شيء فأعرض عني،

ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم مني بما يصلحني في الدنيا والآخرة والله لئن قال لي أتزوج لأقولن نعم يا رسول الله مرني بما شئت ، فقال لي : ((يا ربيعة ألا تزوج؟)) فقلت: بلى مرني بما شئت. قال: ((انطلق إلى آل فلان – حي من الأنصار كان فيهم تراخ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة)) لامرأة منهم فذهبت إليهم، فقلت لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة ، فقالوا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يرجع رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بحاجته.

فزوجوني وألطفوني وما سألوني البينة، وليس عندي صداق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا بريدة الأسلمي اجمعوا له وزن نواة من ذهب)) قال : فجمعوا لي وزن نواة من ذهب فأخذت ما جمعوا لي فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((اذهب بهذا إليهم فقل لهم: هذا صداقها)).

فأتيتهم فقلت : هذا صداقها ، فقبلوه ورضوه وقالوا: كثير طيب . قال : ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حزينا فقال: ((يا ربيعة ما لك حزين؟)) فقلت : يا رسول الله ما رأيت قوما أكرم منهم ورضوا بما آتيتهم وأحسنوا وقالوا : كثير طيب وليس

عندي ما أولم. فقال صلى الله عليه وسلم : ((يا بريدة اجمعوا له شاة)) قال : فجمعوا لي كبشا عظيما سمينا ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اذهب إلى عائشة فقل لها فلتبعث بالمكتل الذي فيه الطعام)) قال: فأتيتها، فقلت لها ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: هذا المكتل به سبع آصع شعير لا والله إن أصبح لنا طعام غيره خذه.

قال: فأخذته فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قالت عائشة رضي الله عنها قال: ((اذهب بهذا إليهم فقل لهم: ليصبح هذا عندكم خبزا)) فذهبت إليهم، وذهبت بالكبش، ومعي أناس من أسلم، فقال: ليصبح هذا عندكم خبزا ، وهذا

طبيخا فقالوا: أما الخبز فسنكفيكموه وأما الكبش فاكفونا أنتم. فأخذنا الكبش أنا، وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم فأولمت ودعوت النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني بعد ذلك أرضا وأعطى أبا بكر أرضا وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة فقلت أنا: هي في حدي. وقال أبو بكر: هي في حدي. وكان بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم فقال لي: يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصا. قلت: لا أفعل. قال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت: ما أنا بفاعل.

قال: ورفض الأرض، وانطلق أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلقت أتلوه فجاء أناس من أسلم فقالوا : رحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال لك ما قال؟ فقلت: أتدرون ما هذا؟ هذا أبو بكر الصديق هذا ثاني اثنين هذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله عز وجل لغضبهما فتهلك ربيعة. قال: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. فانطلق أبو بكر رحمة الله عليه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتبعته وحدي حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع رأسه إلي فقال لي:

((يا ربيعة ما لك وللصديق؟)) . قلت: يا رسول الله كان كذا كان كذا. قال لي كلمة كرهتها. قال لي: قل كما قلت حتى يكون قصاصا، فأبيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أجل لا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر)) فقلت غفر الله لك يا أبا بكر. قال الحسن: فولى أبو بكر رحمه الله يبكي . رواه أحمد بسند حديثه حسن

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه : أن جليبيباً كان يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتي : لا يدخلن عليكن جليبيب فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن. قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم

يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار:

((زوجني ابنتك)) قال: نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين ، قالصلى الله عليه وسلم : ((إني لست أريدها لنفسي)) قال: فلمن يا رسول الله؟ قال :((لجليبيب)) . قال: أشاور أمها . فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك . قالت: نعم ونعمة عين . فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب. فقالت: أجليبيب ! أجليبيب لا لعمر الله لا نزوجه. فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبر بما قالت أمها قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها فقالت: أتردون على رسول الله صلى الله عليه

وسلم أمره؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني. فانطلق أبوها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره فقال: شأنك بها.

فزوجها جليبيبا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة له. قال: فلما أفاء الله عز وجل عليه قال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا. قال: ((لكني أفقد جليبيبا)). قال: فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا: يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعه قتلهم ثم قتلوه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((قتل سبعة

وقتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه)) ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ما له سرير

إلا ساعدا النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قبره ولم يذكر أنه غسله.

قال ثابت: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها.

وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا قال: هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ((اللهم صب عليها الخير صبا ولا تجعل عيشها كدا كدا قال: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها)) . رواه أحمد بن حنبل بسند جيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

الحمد لله الذي قسم المعايش بين الناس ، وفضل بعضهم على بعض في الرزق ، وأمر

الذين فُضِّلوا أن يردوا من أرزاقهم على المفضولين ، ليتخذ بعضهم بعضاَ سُخريَّاً ، فالناس فريقان ، فريق غني بما وهب الله عز وجل لهذا الغني من قوة ومعرفة وقدرة على استنباط المال ، وفريق فقير لأن الله قسم المعايش ، وقد قضى الله عز وجل أن يكون الغني بحاجة لخدمة الفقير ليترفه الغني وليأكل الفقير ، وليشكر الغنيُّ الفقيرَ الذي لولا خدمته لما تنعم الغني بالمال .

ثم الحمد لله الذي حرم على الأغنياء التنكر للفقراء وهضم حقوقهم ، ثم الحمد لله الذي جعل أفضل خلقه وأشرفهم فقيراً من المساكين صلى الله عليه صلاة تصلح دين الغني وتجبر شدة الفقير وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أبد الآبدين .

وبعد :

لما عاينت ولمست بالأدلة الظاهرة الربانية والكشوفات الساطعة النبوية ، وبالتعامل مع كثير من أغنياء المسلمين على اختلاف طبقاتهم من علماء ومن تجار ومن أهل الحرف المدرة للأرباح .

فقد وجدت هؤلاء الأغنياء إلا ما رحم ربي قد فسقوا بأفعالهم فمنعوا حق الأجراء عندهم ، ولم يحضوا على طعام المسكين وتكالبوا على الدنيا ، واستثقلوا الصدقات ، فكلما تصدقوا بدرهم ، خرج من حلوقهم وأقاموا عليه نائحة النفوس ، وطبطب المشايخ على ظهورهم وأقاموا لهم الأعذار .

ثم إنني لما قرعت أسماع الكثيرين من الأغنياء بآيات القرآن المبين وسنة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ، إذا بهم يمرقون من الإسلام مروق الزنادقة .

ثم إنني لما بهتهم بالحجة والبيان ، تعللوا بالمشايخ الذين يلبسون ثياب العلماء ويصعدون المنابر ويعظون الناس ويؤولون كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يرضى الأغنياء عنهم .

لذلك كتبت هذه الرسالة عسى أن يتنبه الذين يلبسون لباس العلماء الوارثين عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الضلال الذي يجرون الناس إليه ، وعسى أن يتوب كثير من الأغنياء ويرجع لهم الإيمان الصحيح ، وعسى أن يستفيق الفقراء من

الذل والغفلة والجهل بشريعة الإسلام فيقوموا ويدافعوا عن حقوقهم ويغسلوا قلوبهم من حب الدنيا ومن الحسد لأهلها .

وقد ضمنت الرسالة كثيراً من الأسرار التي يتذوقها الفقراء ولا يستطيعون التعبير عنها ، كما وقد زينت الرسالة بأنوار النبوة المرغمة لأنف إبليس والقاضية على منطقه الخبيث الذي زينه لأتباعه .

وقد حكيت في هذه الرسالة أشهر الأقوال التي يرددها الأغنياء ويستدلون بمعناها الفاسد لإبعاد الملامة عنهم وإسكات الفقراء عن المطالبة بحقوقهم ، ثم قمت بالرد على كل مقالة من مقالاتهم بأدلة القرآن والسنة المطهرة ليكون

الفقير على بصيرة في تعامله مع الأغنياء وليتلقّن الحجة المبينة .

وفي البداية نوجه القلب إلى الله ونقول : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

قال الأغنياء :

إن الله هو الرازق والمطعم والساتر ، ونحن لسنا أرباباً حتى نرزق الفقير ، فليذهب فله رب والله يعطينا ويعطيه ، وبعضهم يقول هذا المعنى بالعامية من الأمثال : (الفقير طُبّو مانك أكرم من ربُّو) .

الرد :

قال الله تعالى في سورة يس : ((وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين)) آ ٤٧

لقد قال الأغنياء الكفار هذا الكلام من قبل للنبي صلى الله عليه وسلم ، واليوم يقول الأغنياء المسلمون للفقراء وللعلماء الصالحين نفس مقالة الكفار .

ولقد حذر الله المؤمنين من الهروب من الصدقات حتى لا يصيروا كافرين ظالمين ، فقد قال الله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)) البقرة آ ٢٥٤

ثم إن هؤلاء الأغنياء هذه الأيام والذين من قبلهم يتناسون أن الله تعالى قد قسم الرزق لعباده جميعاً ، ولكن الله قضى بحكمته أن يجعل رزقه للفقراء والمساكين وديعة عند الأغنياء ليعطوها لأصحابها ، فأكل الغني حصة الفقير التي قسمها رب الفقير ، ثم يتبجح الغني ويقول: له رب لو يشاء أطعمه وسقاه والحقيقة الساطعة أن الله أطعم الفقير لكن الغني منع الفقير منه، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وآتنا في قلوبنا فرقاناً نفرق بأنواره بين الحق والباطل .

قال الأغنياء :

إن خيراً تعمل شراً تلق ، يقولون هذا الكلام عندما يتحدثون عن طمع الفقراء بهم ، وكيف

أن الفقراء لا يعظمون عطاء الأغنياء لهم ، وأن الفقير إذا استدان لم يوف ذمته للغني المسكين.

الرد :

لقد أودع الله عند الغني كفاية الفقير ، وهي اثنان ونصف بالمائة من مال الغني ، وجعل الله تعالى هذه النسبة أمانة عند الغني ، وأوجب عليه أن يتحرى ويبحث عن الفقراء المستحقين ويؤدي إليهم الأمانة التي حملها الإنسان وكان ظلوماً جهولاً .

ثم فرض الله عز وجل على الغني أن يشكر الفقير الذي أخذ منه الصدقة لأنه أراحه من حمل تلك الأمانة الصعبة ، وقد حرم الله على الغني أن يؤذي الفقير بالمن والاستعلاء . لذلك فإن الشر الذي يلقاه الغني من الفقير

ليس ناتجاً عن الخير والإحسان الصادر من الغني للفقير ، بل هو ناتج عن الشر الصادر من الغني من هضم للحقوق وكسر للخواطر بالمن والأذى والازدراء والاستعلاء .

لذلك ترى أكثر الأغنياء يهربون بمثل هذه الألفاظ المزخرفة بمنطق من الباطل ليغطوا عن أعين الناس البسطاء أعمالهم المفضوحة مع الفقراء ، قال الله تعالى ((وما منعهم أن تقبل نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون)) التوبة آ ٥٤

قال الأغنياء :

لا يجب علينا من الصدقات إلا الزكاة فقط اثنان ونصف بالمائة .

الرد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في المال حقاً سوى الزكاة)) الترمذي
لقد فرض الله على الغني الإحسان إلى الوالدين بالإنفاق عليهما وعلى أولادهما الفقراء ، ولا يجوز أن يكون الإنفاق على الوالدين من مال الزكاة ، وفرض الله على الغني صلة الأرحام وسد حاجاتهم ، وربما لم تكف زكاة ماله لسد عوز أرحامه ، وخصوصاً في هذا الزمن الذي قصر فيه الأغنياء في النفقات على الأرحام وغرقوا في الملذات ، كما فرض الله على الغني إذا قرب أجله أن يترك وصية بحدود ثلث ماله لأقربائه

الفقراء الذين ليس لهم نصيب فيما سيترك للورثة ، لذلك فإن في المال حقوقاً كثيراً غير الزكاة فلابد من الصدقات فليفهم.

قال الأغنياء :

أكثر الفقراء تنابل يهربون من العمل ، فإننا جمعنا هذا المال بعرق الجبين لم ننتظر أحداً لينفق علينا فنحن نكد ونتعب ونجمع المال ثم يأتي الفقير ليأخذه هكذا بالراحة دون تعب .

الرد :

هذا الكلام قاله من قبل الشقي قارون عندما أمره موسى على نبينا وعليه صلاة الله وسلامه بالإنفاق على الفقراء ، فقال لموسى : إنما أوتيته على علم عندي ، أي جمعت هذا المال بتعبي

ومعرفتي ، فكيف يحق للفقراء أن يأخذوا مني هذا المال بغير تعب .

فرد الله على كلامه هذا بلسان الغضب والسخط ، فقال عز وجل : ((أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة أكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون)) القصص آ٧٨

فقد اعتبر الله عز وجل هذا المنطق إجراماً لذلك كانت عقوبته على هذا المقال أن خسف به وبداره مع ماله الأرض ، فهو وماله لا يساوي عند الله جناح بعوضة .
الفقراء تنابل .... عجباً إلى هذه القسوة التي يتبجح بها الغني .

إذا كان الفقراء تنابل في نظر الغني فكيف إذن يأكلون ويشربون ويتزوجون ؟!

هل معنى تنابل في نظر الغني إلا تلك الحالة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعهم بإحسان ، الذين زهدوا في الدنيا ولم يتنافسوا فيها ولم يصرفوا في تحصيلها الأوقات لكن اشتغلوا فيها بما يقيم صلبهم للعبادة والذكر والتعلم .... نعم لا تعجب عندما تعلم أن عقوبة مثل هذه الكلمات الخسف ومحق المال .

تنابل ... ! هؤلاء الفقراء الذين يعملون جزءاً من اليوم ثم يتفرغون لعبادة الله والتفقه في دين الله ورعاية حق الزوجة وتأديب الأولاد ومساعدة الأرحام والجيران وزيارة الأصدقاء .

تنابل ...! هم الذين وقعوا في الفقر بسبب قلة الساعات التي يقضونها في استنباط المال وليس فقرهم ناتجاً عن هضم الغني لأجر العامل . تنابل ...! أولئك الذين ينفضون أيديهم من العمل الدنيوي آخر النهار بعد صلاة العصر ليجلسوا ساعة لقراءة أورادهم من القرآن والتسبيح ، أما الغني فقد نفض عن نفسه غبار التنبلة فهو يعمل ليلاً ونهاراً ليصبح ذلك المؤمن القوي الذي يدخر المال الكثير .

ولقد أمر الله جل جلاله عبده محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يكون مع الذاكرين بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العشاء ، لأن الانشغال في الدنيا في أوقات الذكر هو الغفلة هو اتباع الهوى وهو الإفراط والتفريط .

قال الله تعالى : ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً)) الكهف آ٢٨

الغداة : من صلاة الصبح إلى شروق الشمس.
العشي : من صلاة العصر إلى غروب الشمس.

قال الأغنياء :

الغني خير من الفقير لأن الغني قوي والفقير ضعيف والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

الرد :

نعم لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)) رواه مسلم ولكن هل تساءل الغني والفقير يوماً ، من هو المؤمن القوي ؟ .

المؤمن القوي : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسكيناً فقيراً يأكل يوماً ويجوع يوماً ، وعرض عليه ربه ما شاء من المال والذهب والمتاع ، فرضي عيشة المساكين ورفض زينة الدنيا وزخرفها الفاني .

وكان المؤمن القوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما يرزقه الله من مال ومتاع

على ذوي القربى الفقراء والمساكين وفي سبيل إعلاء كلمة الإسلام .

المؤمن القوي رسول الله صلى الله عليه لم يكن يجمع المال ، بل لقي ربه عز وجل وليس عنده مال بل كان عليه دين ليهودي ودرعه مرهونة عند اليهودي .

المؤمن القوي : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي مات ولم يترك إلا بساطاً وإناءً من كثرة الإنفاق وقد كان من أغنياء قريش . المؤمن القوي : هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يجد ما يستر جسمه إلا الثوب المرقع من كثرة الإنفاق على المساكين وقد كان خليفة المسلمين .

المؤمن القوي : هو الفقير المنفق المتصدق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سبق درهم مائة ألف درهم)) قالوا وكيف؟ قال : ((كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما ، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها)) رواه النسائي .

المؤمن القوي : هو صاحب اليد العليا ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((اليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة)) رواه البخاري

فيا أيها الغني الجموع المنوع كيف تريد أن تبدل سنة الله في خلقه وتغطي الحق بالباطل ... ويا عجباً لأولئك الذين يلبسون ثياب أهل العلم ويصعدون منابر الإسلام ثم يدجلون على الناس ويؤولون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

حسب أهواء الأغنياء الذين جعلوا كثيراً من لابسي العمائم أبواق مدح للأغنياء الذين يحبون أن يحمدوا على صدقاتهم السرية التي لم يكتشفها الفقير المنفَق عليه لأنها سرية للغاية لا يراها إنس ولا جن ولم يرها الكرام الكاتبين . وإن تعجب فعجب عندما يقولون وهم على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينبغي للمسلم أن يسعى للحصول على المال بكل قوته لأن المال قوة ، المال يرهب الأعداء ، الأغنياء مجاهدون في سبيل الله ، لأن الأعداء يخافون من أموالهم ، فالغني هو المؤمن القوي ، والفقير هو المؤمن الضعيف الذي لا يرهب الأعداء .

قال الأغنياء :

إذا فتحنا على أنفسنا باب الصدقات فسوف يطمع فينا الفقراء ونفلس ، والله لا يقول لك ارمي نفسك في التهلكة .

الرد :

وكأن هؤلاء الأغنياء لم يقرؤوا القرآن مرة في حياتهم حتى يكتشفوا بأنفسهم أن الله جعل هلاكهم بقلة إنفاقهم .

قال الله تعالى : ((وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)) البقرة آ١٩٥

التهلكة : يعني البخل وترك النفقة في وجوه الخير .

قال الأغنياء :

الحقوق والالتزامات علينا كثيرة ونحن إذا فتحنا باب الصدقات نقص المال ووقعنا في العجز ، الفقراء سيعتادون على الأخذ من أموالنا .

الرد :

من ظن أن صاحب الصدقة يقع في العجز وأن المال ينقص بالصدقة فهو يكذِّب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم جهاراً.

روى الترمذي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً ولا فتح عبد باب مسألة – أي تسول وكدية – إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة

نحوها، وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرها سواء وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقى في ربه ولا يصل في رحمه ولا يعلم الله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء)).

فلاحظ كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم على حقيقة عظيمة وهي أن المال لا

ينقص بالصدقة لأن الله الرزاق ذا القوة قد قضى أن يخلف النفقة وأن يرزق العبد بدل ما أنفق ، قال الله تعالى: ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) سبأ آ٣٩ ولاحظ أن المنفق ماله في وجوه الخير يكون بأعلى المنازل في الدنيا والآخرة وأن الممسك يكون بأخبث المنازل عند الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً)) متفق عليه

قال الأغنياء :

إن الله يحب أن يرى أثر النعمة على العبد ، يقولون هذا الكلام عندما يتحدثون عن أثر النعمة في شراء الدور وتوسيع الضيعات وزخرفة المتاع .

الرد :

قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم

((ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن عن النعيم))
التكاثر : يعني تكثير المال والمتاع والدور والخدم .

وجاء عمار بن ياسر رضي الله عنه برطب وماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فأكلوا من الرطب وشربوا من الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((هذا من النعيم الذي تسألون عنه)) رواه النسائي في قصة اليهودي والحديقتين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعدما أكلوا وشربوا وشبعوا عند الأنصاري : ((والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)) رواه مسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة – يعني العبد من النعيم– أن يقال : ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد)) رواه الترمذي .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا)) رواه أحمد والترمذي .

والضيعة : هي المزرعة الكبيرة المتخذة للرفاهية وهي أيضاً الأرض الكبيرة التي تحتاج إلى مزيد تعهد واهتمام مما يشغل صاحبها عن العبادة .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)) رواه الترمذي .

أيها الغني : لماذا لا تنفق على أقربائك من ذوي الحاجات ؟ ولماذا لا تصل أرحامك ؟ ولماذا لا تواسي المقهورين والفقراء ولا تعطف على المساكين ... ؟

أليس الإنفاق في مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو أثر نعمة الله عليك ؟! إذن فلير الله أثر نعمته عليك بالنفقة والصدقات كما يراها في الثوب الحسن والبيت الواسع والمركب الهني .

قصة :

في أحد مجالس الأغنياء أخذوا يفتخرون بما عندهم من ضيعات ، فقال أحدهم كلفتني المزرعة مبلغ كذا وكذا (أي بما يساوي ثمن

خمسة عشر بيتاً) فقال فقير كان في المجلس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا)) .

فقال الغني : أيهما أفضل أن آخذ عيالي إلى شاطئ البحر وأعصي الله هناك ، أم آخذهم إلى المزرعة يتنزهون فيها ؟

فسكت الفقير ولم يستطع الجواب ، فتابع الغني كلامه لما رأى الفقير عجز عن الجواب قائلاً : وهل المزارع حرام ؟ انظر إلى الشيخ فلان عنده مزرعة ، وكذلك الشيخ فلان عنده مزرعة ، ثم إن الله يحب أن يرى أثر النعمة على العبد .

فانكسر قلب الفقير وأخذه الغيظ ولم يستطع أن يكتمه ، فقال الفقير : أريد أن أسألك سؤالاً ،

فقال بهيئة المنتصر الفخور ، اسأل ، فقال الفقير : أيهما أحب إلى الله تعالى وأرضى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، شراء مزرعة كبيرة غالية الثمن ، أم شراء بيوت وإسكان أقربائك الفقراء وأرحامك الذين يعيشون في بيوت مستأجرة ؟

فبهت الغني ولم يستطع الجواب ، ثم أخذته العزة بالإثم وراح يتهم الفقراء بالطمع والتنبلة فهرب الفقير من المجلس .

قال الأغنياء :

العمل والكد وجلب المال هو الجهاد الأكبر .

الرد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذالكم الرباط)) رواه النسائي

قال سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله)) رواه الديلمي وابن النجار

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر على الجهاد الأكبر)) قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((مجاهدة العبد هواه)) رواه الخطيب والديلمي والبيهقي .

فيا أيها الغني : لماذا تسمي التعب والنصب والجري وراء المال جهاداً أكبر ؟!
الجهاد الأكبر .... ذلك اللفظ الساحر الذي تخفي وراءه السم الزعاف الذي تطمس به بصائر السذج من دهماء الناس .

الجهاد الأكبر ... من هو العدو الذي تجاهده وفي سبيل من تجاهد ؟

نعم إن عدوك الذي تجاهده هو القلة مع الكفاف ، لذلك فأنت تجاهد في سبيل الرفاهية والترف .

فهل القلة مع الكفاف عدو من أعداء المسلم؟!
أما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما طلعت شمس قط إلا وبعث بجنبتيها ملكان

يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلا ربكم ، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتهيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً)) رواه أحمد بسند صحيح . لقد أراد الأغنياء أن يغطوا أنوار النبوة بأفواههم ، فجعلوا قلة نعيم الدنيا أعدى أعدائهم ، ورأوا أن الإنفاق على الفقراء سبب للقلة والفقر والوقوع في مصيدة عدوهم ، فتنادوا للجهاد الأكبر فظهرت نجاسة بواطنهم أمام كل فقير ومسكين .

الجهاد الأكبر... ضد عدو خطير يطالبهم بالتخفيف من ساعات العمل ، ذلك العدو

الخطير هو ذكر الله والعبادة .. هو صلة الأرحام وإكرام الضيوف والسعي في مصلحة الأرامل والمساكين .

يا ألله ! ما أكبر هذا العدو الذي يحرم الغني من متعة العمل الكثير المتواصل الذي يدر الدراهم ... لذلك هلموا يا أغنياء للجهاد الأكبر واضربوا عنق كل رحم قريب وعاقبوا كل فقير ومسكين ، إنهم يضيعون أموالكم وأوقاتك ويعيقونكم عن الجهاد الأكبر .

عذراً أيها الغني : أنت في جهاد ، أما الفقير فلا يستحق منك نظرة عطف ! لأنه ذلك التنبل الذي ترك الجهاد الأكبر واكتفى بساعات قليلة من الكسب والعمل ثم أقبل على ربه الكريم يعبده ويذكره .

فيا أيها الغني : ألم يتحفك سيد الفقراء والمساكين بهدية لا تقدر بثمن فقال صلى الله عليه وسلم : ((الساعي على الأرملة والمسكين ، كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار)) رواه البخاري .

ألا فتوبوا إلى الله من هذه الأضاليل واعلموا أن السعي على الأرملة والمسكين وصلة الأرحام ومساعدة الضعيف و الصبر على الكسب الحلال هو الجهاد الأكبر الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كيف يزداد الرزق

– بصلة الرحم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه)) رواه البخاري.

- بتقوى الله :

قال الله تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب))

- بالصبر على الفقر والتعفف عن المسألة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)) الترمذي

- بالعفة عن الزنا وتسهيل الزواج ومساعدة الناكح :

قال الله تعالى : ((وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم عن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنهم الله من فضله ..)) النورآ٣٢

– بالنفقة على المستحقين :

قال الله تعالى في سورة سبأ : ((قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) آ٣٩

– بالاستغفار :

قال الله تعالى : ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً *

ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)) نوح١٠-١٢

وروى النسائي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب)) .

- بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

قال صلى الله عليه وسلم : ((كثرة الذكر والصلاة عليَّ تنفي الفقر)) رواه أبو نعيم . روى ابن منده بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من صلى عليَّ كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته وثلاثين

لدنياه)) اللهم صل وسلم وبارك على محمد وآله وأصحابه وعلينا معهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

الحمد لله المعطي المانع ، الباسط الجامع ، الذي أعطى المؤمنين ما منع عن غيرهم ، ومنعهم مما أعطاه غيرهم والصلاة والسلام على العبد الجامع لخصال البر المجيدة ، الباسط لأوليائه المؤمنين من المعروف ما وسعته أرض قلوبهم ، والمدخر لهم شفاعته يوم الدين ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، صلاة تزرع بها في قلوب المؤمنين العفة والإيثار ، وتنزع منها محبة الإمساك

والادخار ، وتدفع النفوس إلى الوثوق بما عند الله من توالي النعم ودوافع النقم ، وبعد :

هذه تذكرة لطيفة للعبد الجامع المانع الذي دخل في العقبة أدفعه فيها إلى اقتحام تلك العقبة بالنفقات الكثيرة على اليتامى والمساكين وأنبه فيها على بعض المسائل التي يتجاهلها كثير من الناس ، وقد رأيت من القائمين بتعليم الناس وإرشادهم تجاهلاً وتحريفاً لبعض المقاصد النبوية الشريفة .

وأذكر فيها أحكام الادخار في شريعة المختار عليه الصلاة والسلام ، على نحو لا تجده في كتاب آخر ، حيث اختلف فيه العلماء ولم يجمع أطرافه واحد منهم ، فأكرمني الله تعالى

بذلك وفتح علي بكتابة العلم النافع ، فله الحمد والمنة لرسوله الصلاة والسلام .

خصوصية نفقات النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى في سورة الإسراء : ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً)) آ ٢٩-٣٠

في هاتين الآيتين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده للمؤمنين ، وفيهما أسرار

عظيمة تتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم سنأتي على بيان بعضها فيما يلي :

- الحد الذي يتعلق به بسط الكفين بالنفقات عند سائر المؤمنين هو ما يفهمه كل مسلم عندما يقرأ كتاب الله تعالى ، فكل مسلم إذا سألناه عن معنى قوله تعالى ((ولا تبسطها كل البسط)) سيقول بسط اليدين أن تنفق كل ما لديك من أصول المال ومن ثمراتها فتصير بذلك ملوماً عند الله وعند الناس ، وكذلك بسط اليدين هو إكثار النفقات في المباحات واللذائذ الدنيوية ، وهو الإسراف وهذا هو حقاً المعنى المراد في الآية الكريمة وهو ما يفهمه كل مسلم متدبر لآيات الكتاب الحكيم .

– أما الحد الذي يتعلق به بسط اليد بالنفقات بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فهو أمر خاص به صلى الله عليه وسلم ولا يطالب به أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى تكتشف هذا السر ينبغي عليك أن تعلم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يطبق هذه الآية الكريمة ثم بعد ذلك تتدبر وتطلب من الله الفتاح أن يفتح عليك بمعرفة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في النفقات سوف تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم في مقام عال من الإنفاق لم يستطعه أحد من أصحابه لا أبو بكر ولا عمر ولا غيرهم رضي الله عنهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه

وسلم كان ينفق جميع ما يرزقه الله تعالى ، وكان يخرج دائماً عن جميع ماله في حياته كلها إن أن لحق بالرفيق الأعلى ، في حين لم يستطع أبو بكر رضي الله عنه الخروج عن جميع ماله في سبيل الله ورسوله إلا مرتين ، مرة عند الهجرة إلى المدينة والأخرى في تجهيز جيش العسرة ، ولم يستطع أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك غير أبا بكر ، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد خرج عن نصف ماله وكان يخرج كثيراً عن ثمرات ماله وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن جعفر وجميع الصالحين السائرون على خطاهم كانوا يخرجون عن جميع ثمرات أموهم ولم يكونوا يخرجون عن أصول المال الذي يستثمر في التجارة والزراعة،

أما النبي صلى الله عليه وسلم فكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر أبداً فكان ينفق كل ما في يده وهو متوكل على الله المعطي ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقى في مقامات الإنفاق فكان صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن لديه ما ينفقه على المساكين الذين يسألونه استدان وأعطاهم وهذا من المقامات التي لم يبلغها بشر غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو عطاء ربه ليرزق به الفقراء والمساكين وينفقه في سبيل الله ، ولم يكن الله ليقطع رجاء أحب الخلق إليه ، ولما أصبح إنفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود حكمة الله تعالى في تقسيم الرزق على العباد أنزل عليه هذه الآية ينبه فيها الرب العظيم حبيبه الكريم أن على

العبد المحب أن يقف عند حدود حكمة حبيبه ، لذلك ترى بعد أن قال له ربه عز وجل ((ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً)) قال له منبهاً على حكمة الخبير البصير في تقسيم الأرزاق ((إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً)) .

وكأن الرب جل جلاله يقول لحبيبه : يا حبيبي إذا أكثرت من الإنفاق من الغيب فلن أخيبك من العطاء ولكن إن أعطيتك ذلك خربتُ حكمتي التي قضيت إقامة العباد فيها من الأزل

* **النفقة السابقة :**

– نفقات النبي صلى الله عليه وسلم ونفقات أصحابه الكرام رضوان الله عليهم

قال الله عز وجل : ((وما لكم ألا تنفقوا في

سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)) سورة الحديد آ ١٠

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول المسلمين وأول المنفقين في سبيل الله وصحابته هم أول المؤمنين إنفاقاً في سبيل لله لذلك لا يساويهم أحد من بعدهم في الدرجات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)) متفق عليه .

– نفقة المحتاج للمال تسبق نفقة الميسور :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سبق درهم مائة ألف درهم)) قالوا : وكيف ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما ، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها)) رواه النسائي وابن حبان

*** تعذر جمع القلوب بالنفقة :**

إن الله الخبير البصير بعباده جبل الإنسان على طبائع منها رؤية المصيبة ونسيان العطاء ومنها محبته الشديدة للمال قال الله عن ذلك ((إن الإنسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد)) العاديات آ٦–٨

وقد جعل الله المال حبيباً للإنسان وسبباً لظهور الضغائن إذا طُلب من الإنسان إنفاقه في شيء لا تهواه النفوس لذلك لا ينفق الإنسان المال إلا على شيء أحبَّ عنده من المال لذلك ترى أكثر النفقات في الشهوات والملذات وترى الإنفاق على المساكين من الأمور المكروهة عند الإنسان فهو لا ينفق على المسكين إلاّ إذا دفعه لذلك لذة مدح الناس والتعالي على المساكين بالمن والأذى.

قال الله تعالى في آخر سورة محمد صلى الله عليه وسلم ((إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم))

.

لأن الإنفاق يظهر ضغينة المنفق على المنْفَق عليه وظهور الضغينة يكون بازدراء الفقير والمن والتسلط عليه وتعييره .

ثم إن الذين يسألون الناس أموالهم تتعلق قلوبهم بحب المال لذلك لا مطمع بأن يكون المال سبباً لاجتماع القلوب وإلى هذا نبه الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله في كتابه : ((وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم)) الأنفال آ ٦٣.

إن الذي يجمع القلوب ويؤلف بينها على طاعته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك ترى كثيراً من الناس يصلون أرحامهم ويبرونهم وينفقون عليهم ، ومع

ذلك ترى قلوب أرحامهم حاسدة حاقدة باغضة لليد المحسنة التي تأسو جراحهم ، لذلك يتحول هذا العطاء الذي يجحدونه إلى رماد حار يستفونه فيحرق حلوقم وألسنتهم المؤذية .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ — أي تطعمهم الرماد الحار – ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)) .

وفي الحديث إشارة إلى تأييد الملائكة وتأييد جنود الله من البشر والطير والدواب والنبات للمنفق على الأرحام .

*** ترتيب المستحقين للنفقة :**

إن من يقرأ كتاب الله الكريم ويتدبر في أحكامه فسيجد أن أول المستحقين للنفقة هم الوالدان الفقيران ، وسيجد أن حقّهما في كتاب الله مقدم على حق الزوجة والأولاد عند التعارض ، وبعد الولدين حق القربى وبعده حق اليتامى والمساكين.

قال الله تعالى : ((يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى

والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم)) البقرة آ٢١٥

روى النسائي عن طارق المحاربي قال : قدمنا المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول : ((يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك)) .

وهكذا ترى أن شريعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في النفقات هي تقديم الوالدين المحتاجَين في النفقة ، حتى لو تعارض الإنفاق على الوالدين مع الجهاد في سبيل الله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي يريد الجهاد في سبيل الله وهو تارك والديه بغير نفقة وإحسان ((ففيهما فجاهد)) رواه البخاري

لذلك إذا كان مع الرجل نفقة تكفي والديه فقط ولا تكفي أحداً معهما فينبغي بذل النفقة للوالدين ، وفي حال أنفقها على عياله أو على الفقراء أو في الجهاد كان آثماً لتركه الإحسان بوالديه ، وليكن المؤمن براً بوالديه كما فعل صاحب الغبوق الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من خبر هذا الرجل أنه أتى يوماً بغبوق – وهو الحليب المأخوذ من الشاة مساءً – وكان يبدأ بوالديه ثم يعطي الفاضل لزوجته وأولاده ، فدخل فرأى والديه نائمين فما أحب أن يوقظهما وانتظر حتى يستيقظا وكان أولاده من حوله يبكون من الجوع ، فلما أفاق والداه سقاهما وأعطى ما فضل لأولاده ، ففرج الله بعمله هذا بعض ما لحق النفر الثلاثة في الغار من الكرب بانسداد

فمه بالصخرة . والقصة بتمامها في صحيحي البخاري ومسلم .

ثم إنه من يقرأ كتاب الله عز وجل فسيجد أن الله جل جلاله دائماً يقدم حقوق القرابة والإنفاق عليهم على اليتامى والمساكين من غير القرابات .

قال الله تعالى : ((وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً)) الإسراء آ٢٦

في هذه الآية تجد أن الله تعالى أمر بالإنفاق على ذوي القربى بالمعروف ثم على المساكين والمقطوعين ، فكيف إذا كان الأقربون من اليتامى والمساكين فعند ذلك يتأكد حقهم

بالنفقة ، وفي الآية إشارة واضحة إلى أن النفقة على غير المستحقين يعتبر تبذيراً والمنفق يعتبر من جملة الشياطين .

قال الله تعالى في سورة البقرة : ((.. وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ..))

وقال الله تعالى في سورة النساء : ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً)) آ ٣٦

وإذا سألت عن ذوي القربى وترتيبهم نجيبك على ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : ((وابدأ بمن تعول أمك وأباك أختك وأخاك ثم أدناك فأدناك)) فالترتيب على هذا النحو الأم ثم الأب ثم الأخت ثم الأخ ثم الخالة والعمة ثم الخال والعم ثم أولاد الأخت ثم أولاد الأخ وهكذا الأدنى فالأدنى .

وإذا سألت عن موقع الزوجة والأولاد في ترتيب ذوي القربى نجيب على ذلك بما ورد في صريح الآيات والأحاديث أن حاجة الوالدين مقدمة على حاجة الزوجة والولد دائماً ، أما الترتيب الذي تحتله الزوجة والأولاد من بين ذوي القربى فذلك أمر تركه النبي صلى الله عليه وسلم لتقدير العلماء الوارثين عنه صلى الله عليه وسلم

، وسبب ذلك أن الأحوال التي يتقلب فيها الناس كثيرة ومتنوعة فأحياناً تقدم الأخت على الزوجة وأحياناً تقدم الزوجة على ما سواها من الأقرباء وأحياناً تتقدم حقوق جميع الأقرباء على الزوجة والأولاد فتدبر في هذه الأحوال التي تتقلب فيها الزوجة لتفهم .

*** النفقة على الزوجة :**

لقد أمر الله عز وجل الرجل بالنفقة على زوجته وأولاده ، وضبط له هذه النفقة بضابطين :

الأول : أن يكون إطعام زوجته وأولاده وكسوتهم وسكناهم بالمعروف عند أهل الصلاح والتقى والورع في البلدة التي يعيشون فيها وفي الزمن الذي يتقلبون فيه .

قال الله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها) البقرة آ٢٢٣

وأهل المعروف هم العلماء العاملون في تلك البقعة والفترة لا أهل الدنيا الذين يصنعون الأعراف الفاسدة ويحبون أن يسير الشرع الحنيف على أهوائهم الضالة ، والدليل على ذلك أنك ترى إجماع الأمة المحمدية على أن الرجل إذا ترك النفقة على زوجته وأولاده رجع الناس إلى تقدير القاضي ، وقد أجمع المسلمون على اشتراط العلم والخشية من الله عز وجل فيمن يتولى منصب القضاء .

الثاني : النفقة على الزوجة والأولاد حسب يسار الزوج وسعته فلا يكلف الزوج إنفاق ما ليس عنده .

قال الله عز وجل : ((ولينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً)) الطلاق آ٧

* **أحكام هامة :**

– من المحرمات التي يرتكبنها الزوجات مع أزواجهن إرهاق الزوج الفقير وتكليفه بما يشق عليه من النفقات مما يؤدي بالرجل إلى الكسب الحرام والاعتراض على حكمة ربه الحكيم في

تقدير الرزق عليه وخسرانه الفرحة المباركة بيسر الله وعطائه بعد العسر .

- من الذنوب الخطيرة التي يرتكبنها الزوجات مع أزواجهن الاستئثار بما عند الزوج من النفقة وإهلاكهن لمال أزواجهن في زيادة المطاعم والملابس وتأمين مستقبل الأولاد ومنعهن الأزواج من صلة والديهم والإنفاق على الأقربين المساكين وإعطاء القرض الحسن للمحتاجين .

لذلك أعلن الله عز وجل أن مثل هؤلاء الزوجات أعداء للزوج يقدنه نحو المهلكة .

قال الله تعالى في آخر سورة التغابن : ((يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله

غفور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * وإن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم))

– يكره للزوجة طلب التوسعة والعيش في بحبوحة إذا كان زوجها عالماً ووارثاً محمدياً يقصده الفقراء المساكين والسائلين في حاجاتهم، لأن مثل هذا الرجل لا يجوز له صد الفقراء وانتهارهم وإلاّ برئت منه ذمة النبي صلى الله عليه وسلم وذهب عهده مع الله وأصبح في رحاب المشيئة الإلهية وقضائها .

وإن طلبت الزوجة من زوجها العالم الشريف بحبوحة المعيشة يعتبر ذلك منعاً منها إياه من صلة القربى والمساكين وفي هذه الحالة يجوز للعالم طلاق زوجته لأن ذلك يعتبر في حقه سبباً شرعياً للطلاق أما في حق غيره فلا ، لأن للزوجة أن تطلب من زوجها التوسعة عليها وعلى عيالها بالنفقة مالم تؤد هذه التوسعة إلى ظلم الوالدين والأقربين فعند ذلك يحرم عليها طلب التوسعة .

لذلك ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حزن من طلب أزواجه التوسعة في النفقة واعتزلهن شهراً وأراد طلاقهن وأمره ربه عز وجل أن يخيرهن بين الطلاق وبين الإقامة على الحال التي ارتضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن

، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم غياث للناس في كروبهم ومقيل لعثراتهم ومعينهم على قضاء حوائجهم ورازق لفقرائهم ومساكينهم .

ولما اجتمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على طلب النفقة منه صلى الله عليه وسلم وعظهن وحاورهن وبيَّن لهن أنه مأمور بالعطف والإنفاق على المساكين ، ولكنهن ركبن رؤوسهن في هذه المسألة فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتزلهن شهراً حتى أكرمهن الله بالتوبة والتزام التقوى وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

ملاحظة :

ينبغي على الرجل أن يربي ابنته على رعاية حق الزوج والصبر على قلة ذات يده ، وأن لا ترهقه

بالنفقة ولا تدفعه إلى الكسب الحرام ولا تمنعه من صلة أرحامه والإنفاق على أقربائه .

– تحريم التبذير والإسراف :

والتبذير هو الإنفاق في المحرمات ولو كان درهماً واحداً ، أما الإنفاق في المباحات فوق حدود الحاجات فهو الإسراف ، وقد يتحول الإسراف إلى تبذير إذا أوقع السرف صاحبه في ترك حقوق الفقراء والمساكين.

قال الله تعالى : ((وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً)) الإسراء آ٢٦

وقال الله تعالى : ((يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون))

الأعراف آ٣٢

في هذه الآية أمر إلهي بستر العورة باللباس والأكل والشرب من الطيبات ما لم يؤد ذلك إلى الإسراف الذي يمنعهم من الإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والغرباء المقطوعين وفي الجهاد في سبيل الله .

*** الوقوع في التهلكة بترك النفقة :**

قال الله تعالى : ((وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)) البقرة آ ١٩٥

والمقصود بالتهلكة هنا هو تسلط العدو وذلك أن الركون إلى الدنيا يمنع العبد من الإنفاق في سبيل الله والإحسان إلى المساكين فيميل العبد إلى إنفاق ماله في الفواحش والملذات فيذهب دينه ويميل إلى الكفر ويكون عوناً لأعداء الدين في طلب إهلاك المؤمنين ، لذلك فإن النفقة في سبيل الله ما تزال تطهر العبد من الركون إلى الدنيا وتبعده عن طريق الفواحش .

*** استبدال القوم بترك النفقة :**

إذا ترك المسلمون النفقة في سبيل الله والإحسان بينهم فإن الله يعاقبهم ويهلكهم ويستبدل على الأرض قوماً غيرهم .

قال الله عز وجل في آخر آية من سورة محمد صلى الله عليه وسلم : ((ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) .

الفصل الرابع

أحكام الادخار

التحريم :

يحرم على المسلم ادخار المال والمتاع في حالات ، منها :

أ- إذا كان ادخار المال والمتاع نوعاً من الإمساك وتركاً للنفقة فهذا هو البخل المذموم والبخل من كبائر الذنوب وأقبح الخصال وليس

للبخيل في جنة الله مكان وقد أمر الله الملائكة بالدعاء عليه بالتلف في الدنيا .

ب – إذا نوى بالادخار الاعتزاز بالمال عندها يصبح الادخار من الذنوب الكبيرة التي تدفع العبد نحو الشرك ، ومن الشرك الاعتماد على المال والاعتزاز به .

جـ إذا كان الادخار من أجل العلو في الأرض وزيادة المتاع والتطاول في البناء والترفع على الناس .

د – إذا كان الادخار بسبب توقع العبد الوقوع في الفقر والفاقة والمصائب فالادخار في هذه الحالة محرم ، وهناك مقالة ظالمة يتداولها الناس (ادخر درهمك الأبيض ليومك الأسود) فهذه

المقالة ظالمة وقاطعة للقلب عن رجائه بربه وحسن ظنه به وتوكله عليه .

ومن المحرمات ما تفعله النساء بشراء الذهب لا لتتزين به لزوجها وإنما لتجعله ادخاراً لها لوقت العوز والمصائب .

هـ الادخار عند ضيق المعايش بالناس في هذه الحالة يحرم الادخار لما فيه من الإضرار بالناس لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الادخار في زمان العسر ثم رخص بعد ذلك في أزمنة اليسر والتوسعة الربانية في أرزاق المسلمين .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال فرأى عنده كومة من تمر فقال : ((ماهذا يا بلال ؟))

قال هذا أدخره لك ولأضيافك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما تخشى أن يكون له دخان في جهنم ، أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً)) رواه البزار والطبراني وقال الهيثمي إسنادهما حسن .

وفي هذا الحديث تشنيع عظيم على الادخار وأن المال المدخر له دخان يفور في جهنم ، ويحمل هذا الحديث على أن ذلك كان في زمن قلة وعسرة وضيق في معايش الناس قبل أن يفتح الله عليهم خيبر ، وفيه أيضاً تحريم للادخار وتشنيع عليه إذا دخل إلى قلب المدخر سوء الظن بالله .

روى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من ضحى منكم فلا يصبحنَّ بعد ثالثة وفي

بيته منه شيء)) قال : فلما كان العام المقبل ، قالوا : يا رسول الله نفعل كما فعلنا عام الماضي ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيه)).

ففي هذا الحديث تجد رخصة من النبي صلى الله عليه وسلم بادخار الطعام عند سعة الرزق واتساع المعايش ، وتجد فيه بوضوح أن سبب النهي عن الادخار إنما هو وجود المشقة على الناس أيام ضيق المعايش .

الكراهة :

يكره الادخار في حالات ، منها :

أ- عند الكفاية : عندما يرزق الله عز وجل عبده كفاية لحاجاته من المأكل والملبس والمسكن ويثمر له المال يبدأ العبد بالتفكير بالادخار ، وهذا التفكير من وساوس الشيطان، لأن العبد إذا أنعم الله عليه وكفاه حاجته الدنيوية فالواجب عليه شكر النعمة بالإنفاق على المساكين الذين لم يحصلوا على الكفاية في معيشتهم ، وإذا فكر العبد بالادخار في هذه الحال فإنه سيندفع إلى ترك النفقة على المساكين وإلى التطلع للازدياد من حطام الدنيا ويسعى لتأمين مستقبل أولاده ويبني لهم الدور ويدخر لهم المال الذي يقيهم من مصائب الدنيا وهكذا تتخرب العلاقة الصحيحة بينه وبين ربه

عز وجل ويصبح من الهالكين الغارقين في شهوات الدنيا ولذائذها الفانية .

ب- عند وجود المسكنة في ذوي القربى ، لذلك يكره الادخار في حال وجود مساكين في أقرباء العبد الذي يريد الادخار ، وفي الحقيقة أن الإنسان لا يدخر إلا ما هو فائض عن حاجته الأساسية لذلك ينبغي عليه إنفاق هذا الفائض على قرابته المحتاجين للحاجات الأساسية في الحياة .

لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء رضي الله عنها بالإنفاق ونهاها عن الادخار لأن في قرابتها مساكين .

عن أسماء رضي الله عنها قالت : قلت

يا رسول الله ما لي مال إلا ما أدخل علي الزبير فأتصدق ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((تصدقي ولا توعي فيوعى عليك)) رواه البخاري .

أي لا تحصي المال ولا تجمعيه في الوعاء ، وهذا الادخار الذي نهاها عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب وجود المستحقين للصدقة .

جـ عند وجود المسكنة بالنسبة للوارث المحمدي في أهل حيه وبلدته لذلك يكره الادخار للعلماء الصالحين الذين يقصدهم الفقراء والمحتاجون لأن في ادخارهم مشقة على المساكين وضياعاً لحقوقهم وتحريفاً للمقاصد النبوية التي ورثوها من النبي صلى الله عليه

وسلم وإذهاباً لهيبة العلماء من نفوس الناس وسبباً لطعن العوام على العلماء .

الإباحة :

١- ادخار الطعام والقوت للعيال لسنة إذا لم يكن بالناس شدة ومحل وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وسع الله على المسلمين من الغنائم قسم المال عليهم وقسم لعياله قوت سنة لكونهم من جملة المسلمين المأمور بالإنفاق عليهم ، صلى الله عليه وسلم .
روى البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ((كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم))

٢- احتباس الأصل المنتج للمال ليس ادخاراً كآلات العمل وأدوات الحرفة ، وهذه الأصول ليس عليها زكاة إنما الزكاة على ثمراتها إذا بلغت نصاباً ، و من الخير إنفاق هذه الثمرات ويكره للعبد أن ينفق الأصل المنتج للثمرة والمال لأن ذلك هو بسط اليد الملام عليه .

ويكره على العبد الازدياد من الأصول المنتجة للمال حتى لا يرغب في حطام الدنيا ويضيع الأوقات في تعهد المال وصيانته وتثميره .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا)) رواه الترمذي .

والضيعة هي الأرض الكبيرة التي تحتاج لكثير من العناية والتعهد وصرف الأوقات والانشغال عن العبادة وصلة الأرحام وطلب العلم .

الاستحباب :

- لا بأس بالادخار لقضاء الديون المترتبة على العبد وعليه ترك الادخار بعد الانتهاء من الديون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدَيْن)) رواه البخاري في صحيحه .

- لا بأس بادخار أجر العامل وتثميره له كما فعل أحد الثلاثة الذين حبسوا في الغار .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فناء بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما

حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج)) قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها)) قال النبي صلى الله

عليه وسلم : ((وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)) رواه البخاري في صحيحه .

الخلاصة :

كل من يتدبر آيات الذكر الحكيم ويفهم مقاصد الشرع الحنيف ويتذوق المعاني النبوية ويلاحظ تطبيق العلماء العاملين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم سوف يتأكد له أن الادخار في عصرنا هذا ليس فيه خير ومن تعمق في فهم الحياة ، وأحصى جميع صنوف المدخرين في هذا العصر فلن يجد أكثرهم إلا على الباطل ، منعوا الحقوق التي عليهم لأقربائهم المساكين .

* **ادخار خاص :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن لكل نبي دعوة دعا بها وأني أريد أن أدخر دعوتي إن شاء الله شفاعة

لأمتي يوم القيامة)) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم في صحيحيهما .

إن الحمد لله الذي شرف الخلق بنبي كريم أعجز الخلق عن مثل جوده وسخائه ، وجزاك الله يا رسول الله عني أعظم الخير على ما ادخرته لنا من شفاعتك التي تهفو إليها أرواحنا وتطمئن بها قلوبنا ، صلى الله عليك أبداً حتى لا يبقى عند الله صلاة سلم الله عليك سلاماً دائماً حتى لا يبقى من الله سلام وعلى آلك وأصحابك وعلينا معهم.

الفصل الخامس

في كراهية البناء لغير الحاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، المالك المعز المذل ، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد العبد الرؤوف الرحيم بالمؤمنين الذي يعرض عن كل شين ويعز عليه وقوع المؤمنين في الشدة والمشقة .

وبعد : أيها المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم المعمر لآخرتك تذكر أن حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم صار في حضرة الحق ولم يبن بناء فوق حاجته وقد كان في الدنيا يكره البناء فوق الحاجة ويكره زينة البناء وفرشه فوق

الحاجة وكان يعرض بوجهه عمن يبني فوق الحاجة ويغضب منه وهو الآن في قبره في عالم البرزخ مازال يشفق على أمته ويرجو لهم الخير وكان قد حذرهم أن تبسط عليهم الدنيا فيتنافسوا فيها كما تنافس فيها الأمم من قبلهم فتهلكهم كما أهلكت من قبلهم .

ثم إن كثرة الدور العمارات والاهتمام بتزويق البيوت يدفع الإنسان إلى التعالي والاستعلاء والركون إلى متاع الدنيا وكراهية الموت ، وكأن الذي يبني يظن أنه سيخلد في هذه الحياة الدنيا ، كما قال الله عنهم في سورة الشعراء : ((أتبنون بكل رِيْعٍ آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)) آ١٢٩

ريع : مكان مرتفع له إطلالة على مناظر جملية
آية : بناء فخماً كأنه علامة .

تعبثون : تتخذون البناء لا للحاجة ولكن للهو والخيلاء وإظهار القوة وتظنون الخلود في الأرض ، ولما كانت حاجة الإنسان من البناء هي الوقاية من البرد والحر والأمان من العدو الإنسي والوحوش .

ولما كان الإنسان غير مخلد في الأرض فإن العقل السليم يستوجب عليه أن يعمر البناء الذي يحتاج إليه فقط ، ولا يضيع الوقت في تزيينه وزخرفته ما دام سيرحل عنه .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يهدي الناس إلى الخيرات وإلى طريق مستقيم ، فقد أرشد

الناس إلى الاقتصار في البناء والعمارة على قدر الحاجة الأساسية التي تعرض للإنسان وفيما يلي أبين هوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحكام مسألة البناء .

١- إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عمن يبني بناءه فوق حاجته :

روى أبو داود بإسناد جيد عن أنس رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن معه فرأى قبة مشرفة، فقال : ((ما هذه ؟)) قال أصحابه : هذه لفلان رجل من الأنصار فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلم عليه في الناس فأعرض عنه صنع ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه

فشكا ذلك إلى الصحابة فقال : والله إني لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : خرج فرأى قبتك ، فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها فقال : ((ما فعلت القبة ؟)) قالوا : شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال : ((أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا)) أي ما لا بد للإنسان منه مما يكنّه من الحر والبرد ويؤمنه من العدو .

– وأخرج أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مر بي النبي صلى الله عليه وسلم

وأنا أطين حائطاً فقال : ((الأمر أعجل من ذلك)) .

لأن مقام العبد في الدنيا قصير ويوشك أن ينقلب إلى الدار الآخرة ولذلك لا ينبغي له الانشغال بدنياه عن آخرته .

٢- كراهة البناء أكثر مما يحتاجه العبد من وقاية من حر أو برد أو وحش ضار :

روى الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة على عنقه)) . وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من

بنى بناء أكثر مما يحتاج إليه كان وبالاً يوم القيامة)) .

وهذا الوبال هو حمل أوزار البناء الذي بناه على عنقه يوم القيامة .

٣-كراهية النبي صلى الله عليه وسلم لتزويق البيوت بالستائر والنجاد والأثاث والفرش الزائد عن حاجة الرجل وحاجة أهله وعياله وأضيافه :

روى الإمام مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارة والطين)) .

لأن كساء الطين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفعال الأغنياء من اليهود

والمنافقين ، أما في عصرنا هذا فالكسوة المباحة هي كسوة بيوت الفقراء التي ليس فيها سرف ولا خيلاء ، وهي الكسوة التي تدخل في تطبيق سنة نظافة البيوت والتي ليس فيها كلفة كبيرة على المساكين .

- روى الإمام مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان))

إن المرأة بحاجة إلى فراش لها خاصة في بعض الحالات كالولادة والمرض ، أما في الأحوال العادية ففراش زوجها هو فراشها ، ويحتاج المسلم إلى فراش للبنات وفراش للصبيان لتطبيق سنة الفصل في المضاجع عندما يكبر الغلمان .

٤- حرمان العبد من الأجر الأخروي على بناء البيوت وكسوتها إذا كانت أكثر من الحاجة الضرورية :

روى الترمذي وصححه عن خباب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا البناء)) .

أي يؤجر على نفقاته في الواجبات والمندوبات والمباحات إلا البناء والتعمير .

والسر في ذلك البناء ينفح في نفس البشر حب البقاء وكراهية الموت ، لذلك كان أصحاب البيوت الكبيرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدون مع النساء والأطفال والمرضى ولا

يذهبون في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥- الإشارة النبوية إلى أن البناء فوق الحاجة والإكثار من العمران دليل على أن مال الرجل مكتسب من الشبهات والحرام :

روى أبو الطبراني بسند جيد عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا أراد الله بعبد شراً خضَّر له في اللبن والطين حتى يبني)) .

أي سهل له الإكثار من العمارات وحسَّنها له

- وروى أبوداود بإسناد جيد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين)) .

- وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جمع المال من غير حقه سلطه الله على الماء والطين)) يعني أنفق ماله على البناء وتزويقه وفرشه بالأثاث والستائر والنجاد والحرير والديباج .

٥- كراهية المغالاة في ثمن الدور وأجارها لما فيه من المشقة على المسلمين :

- روى الإمام مسلم والطبراني واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم من رفق بأمتي

فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه)) .

- وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء))

- وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((هلك المتنطعون هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون)) رواه مسلم .

المتنطعون هم المتشددون المتجاوزون للحدود المتسببون للمسلمين الوقوع في المشقة والعنت

فمن أراد الرفق الرباني ، والرحمة الإلهية ، والتيسير وتنفيس الكرب العظيم والنجاة من الهلاك وستر العيوب ومحو الذنوب ومعونة الرب المعين ، فلا ينبغي له أن يشق على المسلمين .

وأحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلينا معه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

الفصل السادس

في تعريف المساكين بإتحاف التاجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغني الحميد الكريم المعطي الذي خلق العباد ليربحوا عليه لا ليربح عليهم فهو غني عنهم لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الحريص على هداية الناس والشفيق عليهم الذي دلهم على سبيل التجارة المفلحة الرابحة ، فتلا عليهم بيان الله الكريم : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)) سورة الصف آ ١٠-١٣ فاستجابوا لله وللرسول لما يحييهم فكانوا رجالاً من طراز نادر وتجاراً رابحين فالحين ، مدحهم ربهم فقال جل جلاله : ((رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)) سورة النور آ٣٧-٣٨

وقال الله عز وجل في مدحهم وتكريمهم : ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)) سورة فاطر آ٢٩-٣٠

صلى الله على هذا النبي الأمي الطاهر الزكي الصادق الأمين سيد تجار الآخرة وسلم تسليماً كثيراً عدد كل ربح ومقدار طمع كل تاجر وعلى آله وأصحابه السائرين على طريقته المتمسكين بسنته الباذلين كل محبوب من الدنيا في سبيل نجاح تجارتهم مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبعد :

فقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته في التجارة مع الصدق والأمانة وحذرهم من اللعب

واللهو فالتجارة إذا ألهت عن ذكر الله وعن الصلاة وعن الزكاة كانت لعباً ولهواً لأن التجارة الحقيقية هي التجارة مع الله بكثرة الذكر وإنفاق المال على المساكين .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى السوق ، ونادى على التجار بصوت عال ، قائلاً : ((ياَ مَعْشَرَ التُّجَّارِ)) فَلَمَّا رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ، وَمَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ. قَالَ: ((إِنَّ التِّجَارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً، إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ)) رواه أحمد و الترمذي وابن ماجه

لذلك أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن التجار جميعهم فاسقون فاجرون إلاّ من رحم الله ، وهم الأمناء الصادقون .

تشريف التجارة والتجّار

تشريف التجارة :

إن التجارة من الحرف التي بارك الله فيها وشرفها باتجار سيد الأنام عليه الصلاة والسلام بمال زوجته الطاهرة خديجة رضي الله عنها ، وشرفها أيضاً بإنزال أحكامها المفصلة في الكتاب المبين وسنة النبي الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم .

تشريف التاجر :

تشرف التاجر بحظ وافر من وراثة النبي صلى الله عليه وسلم فهو يرث من صفة الأمانة من الأمين عليه الصلاة والسلام فهو يحافظ على مال الناس إذا شاركهم في أموالهم فلا يأكل من

حقوقهم شيئاً وهو يرث من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام صدقاً في الكلام فلا يزور الحقائق ولا يحلف الأيمان ولا يغش في البضاعة ، لذلك ناله من الشرف مالا ينال غيره إلا الأنبياء والشهداء والصديقين ، فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قَالَ رسول الله صَلى اللّهِ عَلَيهِ وَسَلَمْ : ((التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ المسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) وفي رواية أخرى للترمذي والحاكم : ((التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة)) .

وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم التاجر الأمين الصدوق المسلم لأن الصدق والأمانة لا يأتيان من غير المسلم ولو أظهر غير المسلم

الصدق والنصيحة للخلق والأمانة ، فإن ظهور الصدق منه هو الكذب بعينه لأنه يتظاهر بالصدق أمامك مرة أو مرات ليتمكن منك ويأكل مالك فيما بعد ويحاربك بمالك ويصد عن دين الله وهو ينسى الفقراء والمساكين ألا ترى إلا غير المسلم من التجار لا ينفق المال إلا في سبيل شهواته وفي سبيل صد المسلمين عن دينهم وتحريف قلوبهم وأفكارهم الصحيحة .

– **تشريف** التاجر الذي ينفق ماله على يتامى المسلمين وعلى الأرامل والمساكين والمصابين الذين لا يقدرون على الكسب بأن كتب لهم ثواب العبّاد الذين يقومون الليل ويصومون النهار ويحفظون ثغور المسلمين من أعدائهم ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال

النبي صلى الله عليه وسلم : ((الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل والصائم النهار)).

- **تشريف** التاجر بأن جعل النبي صلى الله عليه وسلم له أجر الشهداء إذا كان متمسكاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم عند فساد الناس ، روى البيهقي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد)) وذلك لأن المتمسك بالسنة عند غلبة الفساد لا يجد من يعينه بل هو يحسن للناس وهم يؤذونه ويهينوه فبصبره على ما يناله بسبب التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى يجازى برفع درجته إلى منازل الشهداء .

توجيهات نبوية للتجار

– الحرص على البكور :

وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى استلام النهار من أوله والاكتساب لأن أول النهار هو الوقت الطويل العريض المبارك للاكتساب والمعيشة قال الله سبحانه لعبده النبي الأمي صلى الله عليه وسلم يرشده إلى وقت الكسب المناسب : ((إن لك في النهار سبحاً طويلاً)) أي جعلنا لك أيها المؤمن بالله النهار من أوله بعد شروق الشمس إلى آخره وهو وقت العصر لتكتسب فيه إذا فيه البركة والكفاية لحاجاتك وما قبل هذا الوقت وما بعده هو لذكر الله

والصلاة وقراءة الأوراد .

روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((اللّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)). قَالَ : وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشاً، بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِراً، فَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ ، حتى كان لا يدري أين يضع ماله .

– التجاوز عن المعسرين :

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم التجار إلى خصلة عظيمة نافعة لهم وهي إنظار المعسرين من الناس وعدم التشديد عليهم بالمطالبة ، والتجاوز عن ديونه عليهم أفضل وأكمل .

قال الله تعالى : ((وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون))
سورة البقرة آية ٢٨٠

وهذا التدبير من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كرم فائض من جناب الله تعالى على التجار إذا أوجد لهم سبلاً ينجون بها يوم الدين إذا قصروا في أداء حقوق الله عز وجل روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ((كان تاجر يداين الناس ، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه)) فانظر إلى عناية النبي صلى الله علية وسلم وحرصه على سلامة التجار المسلمين وانظر إلى كرم الله على هذا التاجر الذي كان يفعل الخير

ويظن بربه الخير والله عند حسن ظن عبد به فليظن العبد بربه ما يشاء .

– تطهير المال :

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم التاجر إلى الصدقة بعد كل بيعة حتى يطهر المال من اللغو والتورية والموارِبة التي تحدث غالباً بين التاجر والزبون .

روى الترمذي وأحمد عن بنِ أبي غرزةَ، قال : خرجَ علينا رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم ونحنُ نُسمَّى السَّماسرةَ ، فقال : ((يا معشرَ التُّجَّارِ إنَّ الشَّيطانَ والإثمَ يحضرانِ البيعَ فشُوبوا بيعكُم بالصَّدقةِ)).

- **ترك التجارة :**

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاحتراف بالحرف التي تحفظ كرامة المؤمن وترك بعض الحرف التي لا تناسب المروءة والتي تؤثر على سلوك المسلم كالحرف التي تجره إلى الأوساخ والنجاسات التي تسبب له الحرج في أداء الصلوات ، وكالحرف التي تجره إلى النفاق والفتن معاشرة أهل الفساد ومنها ترك التجارة عند غلبة الفساد عند عدم قدرة التاجر بالتمسك بالتقوى والخوف من غلبة أهل الفساد على دينه وعرضه.

روى الإمام أحمد وأبو داود عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، يقول : ((قد أعطيت خالتي غلاماً وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه وقد نهيتها أن تجعله حجاماًً أو قصاباً أو صائغاً)).

وإنما نهاها النبي صلى الله عليه وسلم أن تدفعه إلى تعلم هذه الحرف لأنها من الحرف الخسيسة التي تحط من مروءة المسلم وذوقه العالي الرفيع لأن الحجامة يستشفى بها عند الحاجة فإذا كثر المحترفون بها كثر الاطلاع على العورات وكثر التداوي بها لغير الحاجة مما يؤثر على صحة جسم المسلم وجماله .

والقصابة حرفة تمنع المسلم كثيراً من الخيرات فهو يتحاشى أداء الصلوات في المساجد بسبب الأوساخ والنجاسات التي تصيبه والرائحة

الكريهة فهو يجد مشقة في أداء الواجبات التي افترضها الله على المسلمين .

حرفة الصياغة لا تناسب المسلم لأنها تعرضه للفتن لأن أغلب زبائن الصائغ من النساء اللواتي يتهيأن للزواج فيعرض للصائغ من فتنة النساء ما يخرب عليه دينه ويجره على الزنا . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن حرفة التجارة لغير القادر على سلوك سبيل الخير فيها ، روى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا علي لا تكونن فتاناً أو قال : مختالا ولا تاجراً إلا تاجر الخير فإن أولئك هم المسوفون في العمل)).

لأن التجار يقعون في التسويف فتلهيهم التجارة عن ذكر الله وعن الصلاة ويعاشرون أهل السوء والمنكر فلا ينكرون عليهم وربما رضوا بالمنكر وربما صاروا يدافعون عن المنكر وعن أهله و يخترعون الحجة ليصدوا عن سبيل الله ، بل ويصبحون هم المفتين الذين يعلمون الناس دينهم وهكذا ينشرون الفساد في الأرض ويصبحون أرباباً يشرعون للناس الحلال والحرام على حسب أهوائهم .

ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بسيطرة التجار على الناس حيث يصبح التاجر هو الذي يفتي الناس ويستنبط لهم الأحكام الشرعية على هواه .

روى النسائي عن عمرو بن تغلب قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر العلم ويبيع الرجل البيع فيقول : لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد)).

أي من علامات قرب القيامة ظهور الجهل بسبب اهتمام الناس بأمر الدنيا حتى يشاور الناس التجار في أمور الدين ، ولا يوجد كاتب يكتب بالعدل ، ومعنى يظهر العلم أي يزول ويرتفع ، أي يذهب العلم عن وجه الأرض بذهاب العلماء الورعين .

أو المعنى : يظهر الاحتياج على العلم وأهله.

- أرشد النبي صلى الله عليه وسلم التجار إلى الكرم وسخاوة النفس في إنفاق المال لأن إنفاق

المال نوع من أنواع الشجاعة وإمساك المال من الجبن .

روى القضاعي بسند حسن عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ((التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق)) أي التاجر الذي يجبن من البذل للمساكين لعزة المال عنده وخوفه من عدم عودة المال إلى يده وينشأ ذلك من ظلمة الشرك والشك فيحرم الرزق فيعذب قلبه ويتعسر أمره والجسور يقدم بسخاوة نفس على بذل ما في يده ومنشأه من كمال التوحيد والثقة بوعده تعالى فتسهل عليه أسباب الرزق ببركة إيمانه وثقته بموعود الله تعالى ، ولذلك فإن بذل الدنيا سبب كل ربح كما سنبينه واضحاً في الأحاديث التالية :

روى البزار والطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر (كومة صغيرة من التمر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما هذا يا بلال؟)) قال : أُعدُّ ذلك لأضيافك ، فقال : ((أما تخشى أن يكون له دخان في نار جهنم ، أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً)).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)). والمعنى أن التاجر إذا جمع المال وأمسكه عن

مستحقيه تعرض لنار جهنم يوم القيامة ، وتعرض للتلف في الدنيا ، وهذا معنى من معاني الحرمان من الرزق .

نماذج من التجار

– دخلت العير إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل تجارة لسيدنا عثمان بن عفان رصي الله عنه فاجتمع عنده التجار ليشتروا منه البضاعة ، فأبطأ عليهم ولم يبع منها شيئاً فقالوا نعطيك فيها ربحاً بكل درهم درهماً واحداً ، فأبى عثمان رضي الله عنه فزادوه ، وقالوا : نعطيك بالدرهم درهمين ، فأبى وقال : قد زيد لي فيها أكثر فقالوا : نعطيك بالدرهم ثلاثة دراهم ، فأبى وقال : قد زيد لي فيها أكثر من ذلك ، فقالوا : نعطيك بالدرهم أربعة دراهم ، فأبى

وقال : قد زيد لي فيها أكثر من ذلك ، فغضبوا ، وقالوا : من يزيدك أكثر من أربعة دراهم وهذه التجار كلها هنا ؟! قال : قد زادني فيها ربي بالحسنة عشر أمثالها ويزيد إلى ما شاء الله ، اشهدوا أن هذه التجار كلها صدقة على فقراء المدينة .

– اشترى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أرضاً بعشرين ألف درهم ، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه من يشترى هذه بمثل هذا ؟! فهي لا تساوي عشرين ألفاً ، ثم إن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما صلى في الأرض ، ثم قام من صلاته وأمر الخادم أن يحفر موضع سجوده فحفر فخرج بئر كثير الماء ، فقسم الأرض ثمانية أقسام أبقى لنفسه القسم الذي فيه البئر وتصدق بالباقي على الفقراء وسقى جميع

القطع من بئر أرضه ، ثم إن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، طلب من عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن يبيعه قطعة الأرض التي فيها البئر بعشرين ألف درهم فأبى عبد الله ذلك .

- كان تاجراً أميناً صادقاً وكان له حانوت يبيع فيه أقمشة وكان من طريقته في التجارة انه إذا باع أخرج حاجة عياله وحاجة حانوته الضرورية ثم يتصدق بجميع المال الفاضل ، ولما كبر بعض أولاده عملوا عنده في التجارة فلما رأى الأولاد كثرة إنفاق أبيهم خافوا على أنفسهم أن يقعوا فريسة الفقر وقالوا فيما بينهم إن أبانا يهلك أموالنا ثم احتالوا عليه ليبعدوه عن المحل فأبعدوه ، فمضت عليهم أيام لم يبيعوا شيئاً فعرفوا عندها أن إنفاق أبيهم الكثير على الفقراء كان

من أسباب كثرة وبركة أرزاقهم فتابوا إلى الله وأرجعوا أباهم ليكونوا خدماً له في أمر تجارته.